التطور اللا الهى (١)

بقلم شارلس سمث

رئيس الجمعية الامريكية لنشر الالحاد

لم تنم قائمة للناس بعد طرح فكرة دوران الارض على بساط البحث إلا على فكرة التطور فاصبح كل المتدينين أن من المعارضين للفكرة الجديدة و إن من المحاولين تطبيق التعاليم الدينية عليها . و بالرغم من أن هذه الفكرة تقاوم من رجال الدين وتضطهد من المتشرعين ، فانها تدرس فى المدارس العالية والكليات فى الوقت الذى هى فيه مكروهة

تاريخ التطور: التطور نظرية قائلة بأن كل أشكال الحياة قد ارتقت عن حالات بدائية .

وقديما لاحظ فلاسفة اليونان مثل طاليس وانكسيمندر وهرقليطس وأمبذقليس ولوبطريقة مبهمة حركة التطور فقالوا بنشوء الحى من اللاحى وببقاء الانسب وبعلاقة الانسان بالحيوان . ولارسطو رأى فى تغير الانواع . وقد علم بها ملحدو العهد القديم ، ليوسيبس العظيم وديموقريطس وابقراط ولوكريشيوس الشاعر اللاتينى

ولكن لسوء الحظ برزت المسيحية وهي كارهة لكل ماهو عقلى محبذة للايمان فهربت الفلسفة من طريقها مرتمية فى أحضان العرب ولكنها ارتدت الى موطنها الاوروبى ثانية عن طريق اسبانيا بعد أن تقلص النفوذ الكهنوتى وذلك بعد مدة طويلة تكاد تقرب من ١٠٠٠ عام هى عهد أوروبا المظلم ، وكان الدين فى هذه المدة الكلمة العليا فاضطهد العلم أعظم اضطهاد وقد ظهر فى ظلمة القرون الوسطى رجال أهمهم كوبرنيكس وغاليليو وبرونو أولئك الذين صرحوا بأن النجوم ليست غير شموس وأن الأرض ليست مركز العالم كما كانوا يظنون وظهر بعد ذلك فانينى فقال بوجود درجات للحياة و قد خلص كوبرنيكس بموته من الاضطهاد أما غاليليو فقد تاب واستغفر ولكن جوزى كل من برونو وفانينى بالحرق حيا وهكذا انتصر القساوسه . ثم ظهر بيكون وديكارت ولينتز وهيوم ، فسوا حقيقة فكرة التطور وتبعهم بافون فرأى الحقيقة متجلية ولكن خوفه من القس أجبره على أن يكذب ، الامر الذى وصم تاريخه كما وصم تاريخ غاليلى بوصمة

غير مستحبة واكتشف لابلاس النظرية السديمية القائلة بأن السيارات قد تطورت عن ضبابة نارية . ثم اكتشف بيل من الصخور أن العالم قديم وانهى جوته وارسموس دارون خلافهما إثبات نظرية التغير كما كانت تدعى . وتبع هؤلاء لامارك الذى يصح بحق تلقيبه بموجد فكرة التطور ، فهاجم بشجاعة فكرة الخلق الممتاز وثبات الانواع ، وكان ذلك فى العام الذى ولد فيه دارون الشهير فاصبح لامارك والحالة هذه موجد فكرة امكان إثبات تسلسل الانسان من القردة . وبعد ذلك بعشرين سنة جمع شارلس دارون براهينه المثبتة لفكرة التطور سنة ١٨٥٩ وطبعها فى كتابه أصل الانواع

ثم ظهر بعده هيكل الملحد فوضع ماتوصل اليه لامارك ودارون فى نسق بسيط ورسم شجرة النشوء التى لاتزال مقبولة للآن

ولم يقف القساوسة مكتوفى الايدى ولكنهم حاولوا التشويش وأخذوا جانب العلماء المحافظين ومن هؤلاء العلماء فيرشو فقد أبان ضرورة عدم ذكر تسلسل الانسان من القرد عند تعليم التطور (حتى لايتأتى عن هذا اضطراب خطير فى النظام الحكومى)

ولكن بالرغم من كل ذلك اعتنق العالم العلمى فكرة التطور فى أقل من نصف قرن فالتطور هو من بنات أفكار ملحدى اليونان القدماء وقد أحياه فيما بعد ملحدو الفرنسيين

كيف ثبتت نظرية التطور

(١) علم طبقات الارض : كان هذا العلم أول معول أخذ فى هدم الاعتقادات الكتابية باكتشافه بين طبقات الاحجار ما يعزز فكرة التطور ففي كل طبقة من طبقات الارض نجد متحجرات للحيوانات والنباتات التى عاشت فى ذلك العصر وكلما ذهبنا فى الطبقات العليا وجدنا آثار الحيوانات الراقية فالارقى وأخيراً عثرنا على بقايا الانسان البدائى ، فاذا تطلعت من أدنى الى أعلا تجد سلسلة النشوء متجلية بين الصخور

ويقف رجال الدين أمام هذا الاثبات فاغرين أفواههم . كيف لا وليس فى مقدورهم الادعاء بأن القائلين بالتطور هم الذين استحدثوا هذه الاشياء ولكن بعض أذكيائهم قال ان الله غضب على خلائقه فجعلهم حجارة وهذا كل ما يقولونه ، ويتجاهلون وجود الترتيب المكامن فى بطون الصخور بتسق يبدأ بالمنحط وينتهى بالراقى ، وهذا مالم يجرأوا

أن يلفقوا له قصة . ولكنى أقول بالنيابة عنهم بأن الله قد بدأ بسخط الحيوانات الدنيا ثم التفت الى ماهو أرقى فأرقى ! أليس هذا كلام منطقى؟

(٢) تكوين الأجنة : تمر بالجنين أدوار تبدأ بالنطفة التى تقذف فى الرحم فتجده متخذاً شكل السمك تارة وله ذنب أخرى ، ومغطى بالشعر طوراً . كذلك نجد للجنين قلبا مقسما الى قسمين كالسمكة وبعد ذلك نجده مقسما إلى ثلاثة أقسام كالزواحف وأخيراً إلى أربعة أقسام كبقية اللبونات . وبالطبع واجب علينا استنتاج شيء من مشاهدة أن أجنة الانسان كأجنة الدجاج ، تشابه فى مراحل من حياتها أجنة الاسماك

كذلك يلاحظ أن كل الانواع المتشابهة فى الوقت الحاضر تكون أقرب لبعضها فى حالة تكونها ولو أن أجنة جميع اللبونات والطيور والزحافات تتشابه مع بعضها لدرجة كبيرة . ويجب ملاحظة أن أجنة الانسان والقردة تتشابه حتى الشهر الرابع ، فلماذا تستغرب انحدارنا عن القردة ذوات الاذناب فى حين أنه قد مر زمن كان فيه كل منا بذنب .

(٣) الزوائد : فى الانسان أكثر من ١٠٠ عضو لا فائدة منها . وكلها موجودة فى الحيوانات الدنيا . أليس للمرأة آثار من العضو التناسلى فى الذكر أما يدل ذلك على سبق اجتماع أعضاء تناسل الجنسين فى الفرد الواحد

(٤) تماثل التكوين : من السهل ملاحظة التشابه الموجود بين يدى الانسان وأرجل الكلب وجناح الوطواط وزعانف القيطس

(٥) الاستيطان : يلاحظ أيضا تشابه صفات الحيوانات المقيمة فى نفس المنطقة فاذا وجد جبل أو بحر يفرق بين منطقتين يكون حائلا بين تشابه الصفات فى المنطقتين المفصولتين . لم يكن حتى عهد قريب فى استراليا حيوانات راقية فكان الكانجارو أرقاها كلها ولم يوجد هذا الحيوان فى غير استراليا لأنها كانت جزيرة غير متصلة بغيرها من الاراضين الاخر

(٦) الانواع المستحدثة : قد أفلح الانسان فى ايجاد أنواع جديدة عن طريق الانتخاب فمثلا أوجد أكثر من ٢٠٠ فصيلة من الحمام لو كانت برية لما ترددنا فى اعتبارها اسرا مستقلة . هذا ما يفعله الانسان فى بضع سنين ، فكيف تنكر أثر الانتخاب الطبيعى فى آلاف وملايين الاعوام

(٧) تسلسل العضويات : ليس هناك حد فاصل بين الانواع والفصائل والأسر فكل منها متصل بمثيله اتم الاتصال وحتى لم تمكن من التفريق تماما ما بين الحيوان والنبات . وهناك نوعان من الحيوانات قنافذ الماء Echidna و خلد الماء Duckbill فكلاهما يبيض فى نفس الوقت الذى يرضع فيه صغاره ، كذلك نرى السمك الطيار يرتفع فى الجو حوالى ١٠٠ يارده و سمك الفرخ المتسلق الهندى Climbing perch (اللوت) يأبى البقاء دائما فى الماء فيزحف على الارض ويتسلق الاشجار

(٨) تاريخ الاعضاء :- ولكل عضو من جسمنا تاريخ فالاذرع والارجل نشأت عن زعانف الاسماك . وارجل الطيور و الحرائش نشأت عن الزحافات وعن الاسماك و بعض بقايا الاسماك المنقرضة كان لها اسنان فى فكيها كما كان لها ذيول طويلة واجنحة ذات اطراف ظفرية . وأما الجناح فهو رجل امامية . وقد كان القيطس يوما ما يسير على الارض باربعة أرجل وهو لا يزال من الحيوانات اللبونة وليس من الاسماك . وكان للحصان خمسة أصابع . كان جسمه فى حجم الثعلب وهو الآن يسير معتمداً على ظفر أصبعه الاوسط . ولبعض الثعابين آثار أرجل فهل ورثوا ذلك من أصلهم الذى اغوى حواء

يقول داروين ان أسرة القردة المسماة سيميادا simiadae انقسمت إلى عائلتين عائلة القردة الحديثة والعائلة القردية القديمة ومن الاخيرة تسلسل الانسان . وقال هيكل من الكائنات الشبه قردية هبارية (ليمورية) lemurs برز خط مر على فصيلة الميمون baboons فالقردة الراقية واخيرا إلى الانسان

وما على المكذب إلا إجراء التجربة الآتية وهى أن يحقن نفسه بدم أى نوع من الحيوانات فى حين تحقن احد الملاحدة بدم أحد القردة لنرى من من الاثنين يظل حياً وأنا ضامن أن رصيفى الملحد ، هو الذى سيتمتع بالحياة دونى ؟

ومع كل فان الانسان لم يستقم بعد خصوصا وهو يسير . وما الذى يسبب احتياج الطفل لمدة كى يتمكن من ان يسير مثلنا و ما السبب فى نزول الفتق وما السبب فى أن فى الطفل ميلا غريزيا للتسلق بل ما السبب فى وجود نساء لهن اكثر من ثديين وان يكون لكل ثدى عدة حلمات ؛ مثلهن فى ذلك مثل الحيوانات الدنيا ؟

وكيف تسلمون ايها السادة المتدينون بان الصينيين والزنوج وبيض أوروبا قد

تسلسلوا عن رجل وامرأة فى مدى ٦٠٠٠ سنة ولا تسلموا بالتنوع الشامل فى ملايين السنين . ان من السهل ملاحظة التشابه الموجود بين الانسان والقرد لإنه أكثر جلاء من التشابه الموجود بين كلب الصيد والكلب المتوحش ، وهو الامر الذي لا تنفونه . فلو أصررتم على أن الانسان خلق على صورة الله فكونوا صريحين وقولوا ان القرد قد خلق على نفس الصورة أيضاً

(٩) الحلقات الضائعة : وقد اكتشف الباحثون آثاراً من بني آدم المفترض اقترابها من القردة إلى الانسان . مثلا انسان نياندرتال Neanderthal man الذى اكتشف ١٨٥٦ ورجل جافا Gava man ١٨٩١ الذى احتار العلماء فى الحكم عما إذا كان رجلا أو قردا

(١٠) الانتخاب الطبيعى : هذه النظرية لها خمس عوامل

(١) التنوع : ليس هناك تطابق بين أى فردين من النبات أو الحيوان

(٢) التوالد المتكاثر : المولودات تكون غالبا أكثر من التى تبقى . راجع نظرية ملتوس Malthus القائلة بان تكاثر الحيوانات يتم على نسق ٢ و ٤ و ٨ و ١٦ فى حين ان تكاثر الطعام يتم على نسق ٢ و ٤ و ٦ و ٨ و ١٠

(٣) التناحر على البقاء :

(٤) بقاء الانسب : الناتج عن التناحر لاجل الطعام والمكان فيموت الضعيف واما القوى فيبقى . فالطبيعة تقتل العاجز عن الاندماج فى المحيط وأما الذين يندمجون فهم الاقوياء

(٥) وراثة الميزات المستحبة (الصالحة) : اذا تمكن فرد له ميزات مخصوصة من البقاء فيكون أصل شجرة تتوارث هذه الميزة وبتابع الزمن توجد فصيلة تبعد شيئا فشيئا عن تلك التى نشأ منها ذلك الأصل

فاذن يمكننا أن نستنتج مما سبق ان ماذكر فى التوراة كله خطأ فلم يخلق الله آدم ثم خلق من ضلعه حواء وليس الانسان وحده بالذى خلق على صورة الله والتعليم الدينى ولاشك مجموعة خرافات تلقن للاولاد لاجل ان تمنعهم من الوقوف على الحقيقة . وللقس العذر فى أن يغضبوا لان العلم قد هدم كل مايعرفونه ولذلك اصبحوا يجهلون مايجب أن يقولوه

الخرطوم ط . هـ . حنين